http://www.shamela.ws
تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : نظرات في كتاب سيبويه

نظرات في كتاب سيبويه

د. ماهر عباس جلال
جامعة الإمارات العربية المتحدة

لعل أول كتاب جامع لمسائل النحو وصل إلينا هو كتاب سيبويه. وقد شرّق هذا الكتاب وغرّب، وصار محط أنظار علماء العربية وطلابها إلى وقتنا هذا، يتبارون إلى دراسته وفهمه وإقرائه وشرحه، حتى كان يعد مفخرة لطالب العربية أن يستظهر كتاب سيبويه.

وهذا الكتاب لم يصل إلينا عن طريق سيبويه نفسه، وإنما عن طريق تلميذه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة(1)، حيث كان سيبويه يعرض عليه مسائل الكتاب. يقول الأخفش: "ما وضع سيبويه مسألة إلا عرضها عليّ، وكان أعلم مني بالكتاب وأنا اليوم أعلم به منه"(2).

وقد أخذ الطلاب والعلماء يقرؤونه عليه بعد موت سيبويه، وصار كل نحوي يستنسخ لنفسه نسخة من الكتاب، فتعددت نسخه، وربما أضاف بعض النحاة السابقين – ومنهم الأخفش نفسه – تعليقاً عليه أو شرحاً له، ومع مرور الزمن ألصق النساخ هذه الشروح والتعليقات بكلام سيبويه نفسه، حتى صار من الصعب فصله عنها.

وقد أشار إلى ذلك قديماً السيوطي فقال: "... كما ألحقت حواش من كلام الأخفش وغيره في متن كتاب سيبويه"(3).

---

(1) . انظر: الأنباري، أبو البركات: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، القاهرة،1294هـ، 1876م، ص184.

(2) . انظر: الأنباري، أبو البركات: نزهة الألباء، ص184.

(3) . انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق د. عبد الإله نبهان وآخرين، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ =1987م، ج4، ص57.

ومما يدل على تعدد نسخ الكتاب وكثرتها ما أشارت إليه بعض شروح الكتاب من النسخ الكثيرة التي اعتمدت عليها عند شرحها له. ومن أشهر هذه الشروح التي عُنيت بجمع نسخ الكتاب المختلفة، والتنبيه على الفروق بينها، وتحقيق نصه – شرح ابن خروف(1)، وقد سماه " تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"(2). وأهم هذه النسخ التي اعتمد عليها:

النسخ الشرقية، لعلماء من الشرق لم يُسَمّهم(3).

---

(1) . هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي، إمام في النحو والعربية، وكان من أوائل الداعين إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في مسائل النحو واللغة. اشتهر بعنايته بكتاب سيبويه وشرحه وإقرائه، صنف شرحه المذكور عليه، كما صنف شرحاً لجمل الزجاجي وغير ذلك من المصنفات المتنوعة. توفي– على أرجح الأقوال –سنة 609هـ.

انظر في ترجمته: ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، مدريد روخس،1886،ج2،ص676، واليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد: إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين، تحقيق د. عبد المجيد دياب، السعودية، طبعة أولى، 1406هـ= 1986م، ص228، وابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، السفر الخامس، القسم الأول، ص319.

والسيوطي: بغية الوعاة، مطبعة السعادة، مصر، طبعة أولى،1326هـ، ص354، والصفدي: الوافي بالوفيت، فرانز شتاينر، فيسبادن، 1404هـ= 1983، ج22، ص90، والقفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1973م، ج 4، 186.

(2) . الكتاب مخطوط، وهو قيد الطبع بتحقيقنا.

(3) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص3، 35، 57، 75، 115، 276.

النسخ الرباحية(1)، نسبة إلى محمد بن يحيى الرباحي(2).

نسخة الجرمي(3).

نسخة المبرد(4).

نسخة أبي بكر بن السراج(5).

نسخة ثعلب(6).

نسخة أبي إسحاق الزجاج(7).

نسخة القاضي إسماعيل(8).

نسخة أبي جعفر النحاس(9).

10. نسخة أبي علي القالي(10).

11. نسخة أبي سعيد السيرافي(11).

12. نسخة أبي القاسم بن ولاد(12).

13. نسخة أبي بكر الزُّبيدي(13).

---

(1) . انظر : ابن خروف: تنقيح الألباب ص275، 213، 226، 275، 277.

(2) . هو أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي، أصله من جيان. برع في علم العربية، وتلمذ لأبي جعفر بن النحاس وابن ولاد وغيرهما. اشتهر بعنايته بكتاب سيبويه. توفى سنة 358هـ. انظر في ترجمته: السيوطي: بغية الوعاة، ج1، ص262، والضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، روخس، مدريد، 1884م، ص134. والقبطي: إنباه الرواة، ج3،ص229.

(3) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص 275، 276، 285.

(4) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص141، 213، 284.

(5) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص 175، 206، 214، 212.

(6) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص285، 289، 291،290.

(7) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص82، 294.

(8) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص 275، 298.

والقاضي إسماعيل هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق. عرف بإمامته في العربية والفقه المالكي. تولى القضاء ببغداد، وبها توفى سنة 282هـ. انظر ترجمته في: البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931م، ج6،ص284، والسيوطي: بغية الوعاة، ص193، والحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار المأمون، 1963،ج6ص129.

(9) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب، ص2، 146.

(10) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص285.

(11) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص68.

(12) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص145، 146، 275.

(13) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص275.

---

14. نسخة أبي بكر بن طاهر(1)، ويشير إليها بنسخة الأستاذ(2).

15. نسخ أخرى لم يسم أصحابها، فيقول: " وفي بعض النسخ..."(3)، و" وقع في نسخة..."(4).

وهذه النسخ الكثيرة إن دلت فإنما تدل على صعوبة المهمة الموضوعة على عاتق مَن يتصدى لتحقيق الكتاب، وخاصة أن كثيراً من الحواشي والتعليقات ألصقت بنص سيبويه وربما أشار بعض النحاة إلى ما زادوه بأنفسهم على الكتاب. ويؤكد هذه المقولة ويَتِدها ما ذكره ابن خروف في شرحه باب (الحروف التي تُنزَّل بمنزلة الأمر والنهي...)، فبعد كلامه على شاهد سيبويه(5)، وهو قوله تعالى: (قُلْ إَنّ المَوْتَ الذي تَفِرُّوَن مِنْهُ فإنَّهُ مُلاقِيكُمْ) (6)، وضح أن المبرد زاد آية في الكتاب معترفاً بوضعه إياها فقال: " ووقع في الكتاب متصلاً بقوله تعالى: (فإنه ملاقيكم) : ومثل ذلك قوله: (إنَّ الذَين فَتَنُوا المُؤْمِنيَن والمُؤمِناتِ) (7) الآية. ووقع في الشرقية: قال أبو العباس: أنا وضعتها في الكتاب. قلت(8): وليس فيها معنى زائد على ما تقدم"(9).

---

(1) . هو أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري المعروف بالخِدَبّ، ومعناه: الشيخ أو العظيم. أحد أعلام النحاة بالمغرب والأندلس. اشتهر بتفوقه في فهم كتاب سيبويه، وله تعاليق عليه سماها الطرر. توفى ببجاية سنة 580هـ، على أصح الأقوال. انظر ترجمته في : ابن الأبار: التكملة، نشر السيد عزت العطار الحسيني، ج2،ص532، وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص648، والقفطي: إنباة الرواة، ج4،ص188.

(2) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب، ص42، 203، 242.

(3) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص3، 63، 230،199،96.

(4) . انظر: ابن خروف: تنقيح الألباب ص 213، 261، 264.

(5) . انظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، طبعة ثانية 1977-1983، ج3، ص103.

(6) . الجمعة /8.

(7) . البروج/ 10.

(8) . أي : ابن خروف.

(9) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص19.

وما تزال هذه الآية مثبتة في متن الكتاب في طبعة بولاق(1)، والطبعة التي حققها الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله(2).

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذي بذله الأستاذ عبد السلام هارون – رحمه الله – في جمع ما تيسر له من نسخ الكتاب، وتدقيقها، وفصل ما ليس من كلام سيبويه عن متن الكتاب(3)، وتلافي الأخطاء الموجودة في طبعة بولاق– فلم يسلم تحقيقه من بعض أوجه القصور، لقلة النسخ التي اعتمد عليها في تحقيق للكتاب تارة(4)، ولعدم توفيقه في اختيارالرواية الأنسب تارة، ولعدم دقته في تمييز كلام سيبويه عن غيره تارة أخرى.

وسأعرض في هذه الصفحات بعضاً من أوجه القصور في طبعتي الكتاب، أعني طبعة بولاق والطبعة التي صدرت بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، طلباً للأمانة العلمية، و إكمالاً لجهود السابقين في خدمة الكتاب والتراث النحوي واللغوي بصفة عامة.

أولاً: الاضطراب في تحقيق نص الكتاب

ومن أمثلته:

المثال الأول:

ورد في باب(المؤنث الذي يقع على المؤنث والمذكر وأصله التأنيث):

" وتقول: ثلاث أفراس إذا أردت المذكر؛ لأن الفرس قد ألزموه التأنيث وصار في كلامهم للمؤنث أكثر منه للمذكر"(5).

العبارة السابقة تبدو متناقضة؛ لأن العدد (ثلاثة) يخالف المعدود، فوجب أن يؤنث في مثال: ثلاث أفراس، إذا أريد بالفرس المذكر، أوأن يكون صواب العبارة: " وتقول : ثلاث أفراس، إذا أردت المؤنث". وقد وردت العبارة هكذا في تنقيح الألباب(6).

المثال الثاني:

---

(1) . سيبويه: الكتاب، بولاق، القاهرة،1316-1317هـ، ج1، ص453.

(2) . سيبويه: الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ج3، ص103.

(3) . انظر على سبيل المثال: سيبويه: الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ج3/11هـ3، 157هـ3، 170هـ5، ج4/23 هـ1 144،1هـ2.

(4) . راجع مقدمة تحقيقه للكتاب، الجزء الأول.

(5) . سيبويه: الكتاب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، 3/563، بولاق2/174.

(6) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص181.

وأحياناً يرجع اضطراب تحقيق الكتاب إلى عدم التوفيق في الترجيح بين الروايات واختيار الرواية الأنسب للسياق، ومثال ذلك:

تحدث سيبويه عن مجيء (إنْ) بمعنى (ما)، ثم قال: " وتصرف الكلام إلى الابتداء كما صرفتها (ما) إلى الابتداء في قولك:إنّما، وذلك قولك:ما إنْ زيدٌ ذاهب"(1).

هذا النص مثبت في طبعة بولاق، كما أثبته الأستاذ عبد السلام هارون في متن الكتاب أيضاً، ثم أشار في الحاشية(2) إلى أنه أثبت ما في طبعة (ديرنبورغ) مرتئياً أنه الوجه، وذكر أنه وردت رواية أخرى في نسختين رباحيتين نصها:" وتصرف ما إلى الابتداء". ويبدو أن الوجه ما في النسختين الرباحيتين لا ما في طبعة (دير نبورغ)؛ لأن سيبويه أراد أن يقول: إن كلاً من (ما) و(إنْ) تكف الأخرى عن العمل إذا جاءت بعدها، وبذا ينصرف الكلام إلى الابتداء. وهذا هو ما أشار إليه ابن خروف في شرحه لهذا النص، فقال:

" قوله: وتصرف (ما) إلى الابتداء كما صرفتها (ما) إلى الابتداء، يريد أنّ (إنْ) إذا دخلت على (ما) النافية منعتها من العمل، و(ما) إذا دخلت على (إنْ) النافية منعتها من العمل أيضاً"(3).

وثمة أمر آخر في نص سيبويه السابق ينبغي التنبيه عليه، وهو أن العبارة: " في قولك إنّما " مقحمة على نص الكتاب؛ لأن الضمير في (صرفتها) عائد على (إنْ) المخففة وليس على (إنّ) المشددة، وهذا ما نبه عليه ابن خروف –لله رده– فقال: "قول المفسر: إنه إنما يعني في قوله : إنّما زيد أخوك – فاسد؛ لأن الضمير في (صرفَتْها) راجع إلى (إنْ) المذكورة"(4).

المثال الثالث:

وأحياناً يرجع اضطراب التحقيق إلى عدم استخدام طريقة انطباق ترجمة الباب على ما تحته من الأمثلة، ومن

ترد أمثلة تحت باب لا تتفق وترجمته.

---

(1) . سيبويه: الكتاب،3/153(هارون)، 1/475(بولاق).

(2) . انظر: سيبويه، الكتاب 3/153هـ 1(هارون).

(3) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص35.

(4) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص35.

ومن ذلك أن سيبويه خصص باباً لاسم الجمع ترجم له بباب(ما هو اسم يقع على الجميع لم يُكَسَّر عليه واحد)، ذكر فيه أمثلة لاسم الجمع، ورد من بينها: أخ وإخوة. ومعلوم أن (إخوة) بزنة: فِعْلة، وهي من جموع التكسير وليست اسم جمع، والصواب: أُخوة. قال ابن خروف: " وقوله: ومثل ذلك أخ وإخوة(1). قد تقدم أن (فِعْلة) مما يكسر عليه للقلة(2)، ووقع هنا بكسر الهمزة والصواب الضم (أُخوة). وذكر في ما كُسّر عليه للواحد من التحقير(3) :غِلْمة، وفِتْية، وإِخْوة، ووِلْدة "(4).

ثانياً: خلو الطبعتين من بعض الشواهد المثبتة في نسخ أخرى للكتاب

ومن أمثلته:

المثال الأول:

في باب(الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي...) تناول ابن خروف ما حكاه سيبويه عن الخليل من منعه الجزاء في قوله: آتي الأميرَ) لا يقطعُ اللصّ(5)، حيث قال: "ووقع بعد قوله: البتة(6)، قال الشاعر(7):

لطالما حَّنَلأْتماها لاتَرِدْ

فلا ترد – ليس بمجزوم ولكن الشعر مقيد، ومعناه: لئلا ترد، كما أن معنى لا يقطعُ اللصّ: لئلا يقطع اللصّ.هذا الكلام ثابت في النسخ الشرقية "(8).

---

(1) . سيبويه: الكتاب، 3/625(هارون)، ونصه فيه: " ومثل ذلك في كلامهم: أخٌ وإخوة ".

(2) . انظر: سيبويه : الكتاب، 3/568(هارون).

(3) . انظر: سيبويه: الكتاب، 2/140(بولاق)، 3/490(هارون).

(4) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص203.

(5) . سيبويه: الكتاب 101/3(هارون)، 453/1(بولاق).

(6) . المرجع السابق 101/3 (هارون)، 453/1(بولاق).

(7) . هذا صدر بيت من بحر الرجز، وعجزه: فخلِّياها والسِّجالُ تبترِدْ، انظر : الفراء: معاني القرآن،ج2،ص284.

(8) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص18.

والنص كاملاً في الطبعتين: "وسألته عن آتي الأميرَ لا يقطعُ اللصّ، فقال: الجزاء هاهنا خطأ، لا يكون الجزاء أبداً حتى يكون الكلام الأول غير واجب، إلا أن يضطر شاعر.ولا نعلم هذا جاء في شعر البتة"(1). ولم يثبت البيت هنا ولا ما بعده في الطبعتين، كما أن الأعلم لم يذكر البيت كذلك في شرحه لشواهد الكتاب(2).

المثال الثاني:

وفي باب(أو في غير الاستفهام) قال ابن خروف: "ووقع في الشرقية بعد قوله: بما عَزّ وهان(3): قال ابن أحمر(4):

ألا فالْبَثا شهرين أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاك ما قد غيَّبَتْني غِيابَها

يريد: البثا شهرين أو شهرين ونصف ثالث إلى هنا. فأو هنا بمنزلة الواو"(5). ولا يوجد البيت ولا ما بعده في طبعتي الكتاب أيضاً(6)، كما لم يذكره الأعلم(7).

ثالثاً: إقحام بعض الحواشي والتعليقات على نص الكتاب

وقد نتج هذا عن قلة النسخ التي اعتمدت عليها الطبعتان أحياناً، وأحياناً أخرى كان نتيجة عدم إنعام النظر في النص، وعدم التدقيق في تمييز كلام سيبويه عن غيره من التعليقات والحواشي.

ومن أمثلته:

المثال الأول:

وفي باب(ما هذه الحروف فيه فاءات) ورد هذا النص في الطبعتين:

" وقالوا: أبى يأْبى، فشبهوه بيقرأ. وفي (يأبى) وجه آخر: أن يكون فيه مثل:حَسِب يحسِب، فُتِحا كما كُسِرا.

---

(1) . سيبويه: الكتاب101/3(هارون)، 453/1(بولاق).

(2) . الأعلم الشنتمري: شرح أبيات الكتاب 453/1(بهامش طبعة بولاق).
(3) . سيبويه: الكتاب 185/3(هارون،489/1(بولاق).
(4) . البيت من بحر الطويل.ويروى عجزه: إلى ذاكما ماغيبتني غِيابيا. انظر في تخريجه: ابن الأنباري: الإنصاف، ص483، وابن جني: الخصائص 460/2، والمحتسب 227/2.
(5) .ابن خروف: تنقيح الألباب، ص49.
(6) . انظر: سيبويه، الكتاب، 185/3 (هارون)، 489/1(بولاق).
(7) . انظر: الأعلم: شرح أبيات الكتاب489/1(بهامش طبعة بولاق).

وقالوا: جَبى يَجْبَى، وقَلى يَقْلى، فشبهوا هذا بقرأ يقرأ ونحوه، وأتبعوه الأول كما قالوا: وعَدْتُه، أتبعوا الأول... لأن الفاء همزة، كما قالوا:مُضَّجِعٌ. ولا نعَلم إلا هذا الحرف. وأما غير هذا فجاء على القياس مثل: عَمَر يعْمُر، ويهْرُب، ويحْزُر. وقالوا: عضَضت تعَضّ.
فإنما يحتج بوعَدُّه، يريدون: وعدتُه، فأتبعوه الأول كقولهم: أبى يأبى، ففتحوا ما بعد الهمزة للهمزة وهي ساكنة. وأما جَبَى يَجْبَى، وقَلى يقْلَى، فغير معروفين إلا من وُجَيه ضعيف، فلذلك أمسك عن الاحتجاج لهما. وكذلك عضضت تعض غير معروف"(1).
وإذا تأملنا قوله: " فإنما يحتج بوعده" إلى نهاية النص، فسنجد أنه أشبه بتفسير لما سبقه، وتعقيب على الأمثلة التي ضربها سيبويه من حيث الشهرة وعدمها، ومن حيث صحة الوجه وضعفه، وإلا كان الكلام مكرراً. ويؤكد هذا ما ورد في نهاية النص من قوله: "فلذلك أمسك عن الاحتجاج لهما "، يقصد المفسر بالذي أمسك هو سيبويه . وقد غفلت الطبعتان عن هذه الزيادة وألحقتاها بمتن الكتاب، على الرغم من أنها وردت في نسخة للمبرد وأخرى لابن السراج. قال ابن خروف:
" ومن قوله: وإنما يحتج بوَعَدُّه– إلى آخر الباب، أصل في الشرقية، وثبت لابن السراج حاشية، وقال: وهو تفسير عند المبرد إلى آخر الباب، وهو أشبه؛ لأنه كلام مكرر "(2).
المثال الثاني:
وفي باب (ما تكون فيه الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي) ورد في متن الكتاب بالطبعتين النص الأتي:
" وليس هذا بقوي في الكلام كقوة أنْ لا يقول: لأن (لا) عوض من ذهاب العلامة ألا. ترى أنهم لا يكادون يتكلمون به بغير الهاء، فيقولون: قد علمتُ أنْ عبدُالله منطلقٌ"(3).

(1) . سيبويه: الكتاب2/254(بولاق)، 4/105-106(هارون).

(2) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص234.

(3) . سيبويه: الكتاب1/441(بولاق)،3/74(هارون).

وهذا النص من تفسيرات النحاة لا من كلام سيبويه، وقد نبه عليه ابن خروف– رحمه الله – فقال: " قول المفسر: وليس بقوي– إلى آخر الباب، ليس من كلام سيبويه"(1).

المثال الثالث:

كما نبه ابن خروف على زيادة أخرى وردت في باب(إرادة اللفظ بالحرف الواحد) فقال: "قوله: ومَن خالفه رد الحرف الذي يليه– ليس من كلام سيبويه"(2). وقد ورد النص في متن الكتاب بالطبعتين، دون إشارة إلى زيادته(3).

المثال الرابع:

وفي باب(الحروف التي تنزّل بمنزلة الأمر والنهي...) وردت القرآنية:(إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) (4) في متن الكتاب بالطبعتين(5)، وهي في الحقيقة من وضع المبرد وليست من أصل الكتاب لسيبويه.

قال ابن خروف:

"ووقع في الكتاب متصلاً بقوله تعالى: (فَإِنّهُ ملاقِيكُمْ) (6): ومثل ذلك قوله: (إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) الآية. ووقع في الشرقية: قال أبو العباس: أنا وضعتها في الكتاب(7). قلت: وليس فيها معنى زائد على ما تقدم"(8).

(1) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص1.

(2) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص111.

(3) . انظر: سيبويه: الكتاب 2/64(بولاق)،3/326(هارون).

(4) . البروج/10.

(5) . سيبويه: الكتاب1/453(بولاق)، 3/103(هارون).

(6) . الجمعة/8.

(7) . أي: ابن خروف.

(8) . ابن خروف: تنقيح الألباب، ص19.

وهنا أمر لا بد من إثباته وبيانه، وهو أن هذه الأمثلة المذكورة لا تقدح في الجهد الشاق المضني الذي بذله الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيق الكتاب، وهي لا تعدو أن تكون بعضاً من هفواته– رحمه الله، فقد نبه في مواضيع كثيرة بحاشية الكتاب على زيادات أقحمت على الكتاب في بعض نسخه المخطوطة وقام هو بفصلها عن متن الكتاب وأثبتها في حاشيته، ناسباً بعضها إلى أصحابها(1)، لكن كتاباً مثل كتاب سيبويه لا يمكن أن يضطلع بتحقيقه فرد واحد مهما أوتي من عزم وتجربة وحنكة، فقد تنوء بتحقيقه عصبة من أولى العزم من المحققين.

رابعاً: قصور في نسبة أبيات الكتاب

لا نعدم حين نطالع كتاب سيبويه أن نجد قصوراً في نسبة بعض ابياته الشعرية. ويتجلى هذا القصور في أمرين اثنين:

الأمر الأول: نسبة بعض الأبيات إلى غير قائليها. ومن أمثلته:

ورُبَّ وَجْهٍ من حراءٍ مُنْحَنِ

فهذا بيت من مثلث الرجز، استشهد به سيبويه على صرف(حراء) حملاً على إرادة المكان والبيت نسبه الأستاذ عبد السلام هارون للعجاج(2)، وهو ليس في ديوانه. والصواب أنه لرؤبة من أرجوزة له مطلعها(3):

يا أيها الكاسِرُ عينَ الأغصنِ

والقائلُ الأقوالَ ما لم يَلْقَني

وبيت الكتاب قبله قول رؤبة(4):

بمحبسِ الهدى وبيتِ المُسْدَنِ

ظَهْراهما مثلُ ظهورِ التُرسَيْنْ

---

(1) . انظر على سبيل المثال: سيبويه، الكتاب(هارون) 110/3هـ 3، 175،3هـ3، 170هـ 5، 23/4هـ1، 144هـ2.

(2) . انظر: سيبويه، الكتاب،245/3.

(3) . انظر الأرجوزة في: رؤبة، ديوانه ص 160-163(ضمن مجموع أشعار العرب).
(4) . رؤبة: ديوانه،ص163.

ورد البيت منسوباً إلى هميان بن قحافة بالطبعتين(1)، وكذا نسبه الأعلم الشنتمري(2). والمشهور نسبته إلى خطام المجاشعي(3).

الأمر الثاني: إغفال نسبة بعض أبيات الكتاب الشعرية.

ومن أمثلته:

نَحُجُّ معاً قالت أعاماً وقابِلَهْ ... 1- فقال امكثي حتى يَسار لعلنا

أنشده سيبويه شاهداً على مجيء (يسار) معدولاً عن الميسرة، ولم ينسب البيت في الطبعتين(4).

والبيت لحميد بن ثور، وهو في ديوانه برواية: (فقلت امكثي) (5).

---

(1) . انظر: سيبويه، الكتاب 202/2(بولاق)،622/3(هارون).
(2) . انظر: الأعلم، شرح أبيات الكتاب202/2(بهامش طبعة بولاق).
(3) . انظر: العيني، بدر الدين: شرح شواهد شروح الألفية بهامش خزانة الأدب، 4 /89 (طبعة بولاق)، والبغدادي: خزانة الأدب، بولاق،1299هـ،374/3.
(4) . البيت من بحر الطويل. انظر: سيبويه، الكتاب39/2(بولاق)274/3(هارون). ولم ينسبه الأعلم كذلك في شرح أبيات الكتاب39/2، وكذلك ورد غير منسوب في: السيوطي: همع الهوامع، السعادة، القاهرة،1327هـ، 29/1، وابن الشجري: الأمالي الشجرية، حيدر آباد، الهند،1349هـ،133/2، وابن يعيش: شرح المفصل، المتنبي، القاهرة، دون تاريخ،55/4.
(5) . حميد بن ثور: ديوانه، صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1371هـ =1951م، ص117.

أنشده سيبويه شاهداً على منع صرف (جذام) على معنى القبيلة ولم ينسب في الطبعتين(1). وهو لأم جعفر حميدة بنت النعمان بن بشير، وهو أحد بيتين قالتهما في هجو زوجها روَح بن زِنباع بعد أن كرهته لكبر سنه، فطلقها بسببهما(2).

قال الأعلم في شرحه للبيت: "وصف تمكن رَوح بن زنباع الجذامي عند السلطان ولباسه الخز، وذكر أنه لم يكن من أهله، فهو ينبو عن جلده وينكره. والمطارف: جمع مطرف وهو ثوب مُعلَّم الطَرَف"(3)

---

(1) . انظر: سيبويه، الكتاب52/2(بولاق)،248/3(هارون). ولم ينسبه الأعلم كذلك في شرحه أبيات الكتاب25/2-26.

(2) . يروى البيت: بكى الخز عن روَح، ويروي أيضاً: بكى الخز من روَح. انظر في تخريجه: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948م، ص345، والزجاجي: الجمل، تحقيق علي توفيق الحمد، الرسالة، بيروت، ط(4)،1408هـ=1988م، ص225، وابن السيد البطليوسي: الاقتضاب، تحقيق مصطفى السقا وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1983م، ق2، ص26،ق3، ص50، وابن سيده: المخصص، بولاق، القاهرة، 1321هـ، 17/.40

(3) . الأعلم الشنتمري: شرح أبيات الكتاب،26/2.

مراجع البحث

ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، نشر السيد عزت العطار الحسيني، الخانجي- القاهرة، والمثنى- بغداد،1375هـ=1956م.

ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة،ط2، 1371هـ=1952م.

ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شبلي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ - 1389هـ=1966م-1969م.

ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق:أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948م.

ابن خروف، علي بن محمد بن علي: تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم530- نحو تيمور.

ابن السيد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا و د حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

ابن سيده: المخصص، بولاق، القاهرة،1321هـ.

ابن الشجري: الأمالي الشجرية، حيدر آباد، الهند،1349هـ.

ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: د. محمد بن شريفة ود. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر الأول والخامس.
ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
الأعلم الشنتمري: شرح أبيات الكتاب، بهامش الكتاب لسيبويه، بولاق، القاهرة،1316هـ– 1317هـ.
الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، نشر محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت،1982م.
الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، القاهرة،1294هـ=1876م.
البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب، بولاق، القاهرة،1299هـ.
الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار المأمون،1963م.
حميد بن ثور: ديوانه، صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة،1371هـ=1951م.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر،1931م.
رؤبة بن العجاج: ديوانه، مجموع أشعار العرب، نشر وليم بن الورد البروسي، ليبسك، 1903م، ج2.
الزجاجي: الجمل، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط(4)،1408هـ=1988م.
سيبويه: الكتاب، بولاق، القاهرة،1316–1317هـ ، وطبعة أخرى: تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة،ط2، 1977–1983م.
السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: د عبد الإله نبهان و د. غازي مختار طليمات وإبراهيم محمد عبد الله وأحمد مختار الشريف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ=1978م.
السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة، مطبعة السعادة،مصر، 1351 هـ.
السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: د. عبد العال سالم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط(1)، 1400 هـ= 1980م. وطبعة أخرى: مطبعة السعادة، مصر، 1327هـ.
الصفدي، صلاح الدين: الوافي بالوفيات، بعناية: رمزي بعلبكي، فرانز شتاينر، فيسبادن،1404هـ=1983م، ج22.
الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روخس، مدريد،1884م.
العيني، بدر الدين: شرح شواهد شروح الألفية، بهامش خزانة الأدب، بولاق، القاهرة،1299هـ.
الفراء،أبو زكريا: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعلي النجدي ناصف و د. عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1965–1972م.

القفطي، جمال الدين: إنباه الرواة على أنباه التنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة،1973م.
اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد: إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية، السعودية، ط(1)، 1406هـ=1986م.

.

وبعد، فهذا غيض من فيض، فالطبعتان بهما قصور في كثير من المواضع، ومع ذلك تلقاهما الباحثون بالرضا والقبول الحسن، ولا نعلم كتاباً يبلغ أهمية كبيرة في المكتبة النحوية ككتاب سيبويه؛ فمن ثَمّ ما أشد حاجتنا اليوم إلى العناية به، وتخليص متنه مما علق به– سهواً أو عمداً – من زيادات وتعليقات ليست منه! لعلها كانت وراء اختلاف العلماء في النقل عن سيبويه وتحديد رأيه في المسائل النحوية، بل نسبة أراء نحوية إليه لم يقل بها الرجل، فهي لنحوي أو لآخر ممن علّقوا على الكتاب أو شرحوه.

وإذا كان الأستاذ عبد السلام هارون– رحمه الله– قد بذل جهداً مشكوراً في تحقيق الكتاب وإخراجه للمكتبة العربية، فلا يزال الكتاب بحاجة إلى تحقيق جديد أكثر دقة، يجمع ما يستطيع من نسخ الكتاب وشروحه، ويلتزم منهجاً علمياً في الترجيح بين الروايات، وفي تحقيق نصوص الكتاب وشواهده، ويفصل الحواشي والتعليقات عن المتن، ويحاول – جاهداً – نسبتها إلى أصحابها، ويفسر ما غمض من عبارات الكتاب، إلى غير ذلك من الأهداف المتوخاة في تحقيق هذا الكتاب العمدة في الدراسات النحوية واللغوية.

ولا يخفى على كل ذي نظر أو مُسْكة وروية، أن هذا العبء لا يمكن أن ينهض به فرد واحد مهما وهبه الله من رجاحة عقل، ونفاذ بصيرة، وقوة عزيمة، وفضل وقت، وطول صبر، فالأستاذ عبد السلام هارون أوتي قدراً كبيراً مما ذكرته آنفاً، ولم يسلم تحقيقه من القصور، على الرغم من جلالة قدره وطول باعه في ميدان التحقيق، تشهد بذلك تصانيفه التي أتحف بها المكتبة العربية. وكان شيخنا الدكتور محمود محمد الطناحي– رحمه الله –كثير الثناء عليه، ويعده من جلة المحققين، وأئمة المدققين. فلا سبيل إذن إلى تحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً إلا بإسناده إلى لجنة علمية سبرت أغوار المكتبة النحوية، وأوقفت حياتها على خدمة التراث اللغوي، ونذرت لله أن ترفع لواء العربية فوق ربى الدنيا بإخلاص ويقين.

وتشتد الحاجة اليوم– قبل البدء في هذه المهمة الجليلة– إلى توضيح أوجه القصور والأخطاء التي اشتملت عليها طبعتا الكتاب أولاً، لنسير في طريق نهجة، وبخطى واثقة نحو الهدف المنشود. وهذا ما أعكف عليه لأكمل رحلتي في عوالم كتاب سيبويه، راجياً أن تحقق هذه الرحلة نفعاً، وتَرْتِق فتقاً، وتسد خللاً، وتلبي مطلباً إن شاء الله.

الهوامش

(15/1)